عن الزهراء عليها السلام
أتحدث إليكم



هادي المدرّسي

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م

عن الزهراء عليها السلام
أتحدث إليكم

المؤلف: السيد هادي المدرِّسي.
الطبعة: الأولى.
الناشر: دار أهل البيت عليهم السلام - بيروت - لبنان

عن الزهراء عليها السلام
أتحدث إليكم

هادي المدرِّسي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ

عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين..

ليس سهلاً عليَّ الدخول إلى محراب فاطمة عليها السلام، فهنا منبع السيول، وهنا منتهى النبوءات، وهنا ملتقى البحور؛ بحر العلم، وبحر الإيمان، وبحر المحبّة، وبحر الشجاعة، وبحر الزهادة، وبحر الأخلاق.

تُرى، من يجرأ على السباحة في مجمّع التيارات؟

من يستطيع أن يسبر غور البحور ؟

مـن يمكنـه أن يحمـل في ملعقـة صغـيرة ميـاه المحيـط؟

مـن يمكنـه أن يطـير في السـماوات مـن دون جنـاح؟

من يمكنه أن يمسك الأفق بأصابع يديه؟

هـل يمكننـا أن نعـرف حقيقـة فاطمـة عليها السلام وهـي التـي بيّنـت منزلتهـا مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينـما قالت: «أَنَا ثَمَرَةُ فُؤَادِهِ، وَعُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ، وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِهِ»(١)؟

هـل يمكننـا أن نعـرف الـسرّ المسـتودع فيهـا، وقـد قـال ربنـا عزّوجـلّ في حديـثٍ قـدسي مخاطبـاً نبيّـه الكريـم: «يـا أحمـد، لـولاك لمـا خلقـت الأفـلاك، ولـولا علـيّ لمـا خلقتـك، ولـولا فاطمـة لمـا خلقتكمـا»(٢)؟

(١) الفضائل (لابن شاذان القمي)، ص: ٨٠.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج٣، ص٣٣٤.

فاطمة عليها السلام هي الثمرة..

هي ثمرة الثمرة..

هي الروح..

هي روح الروح..

هي حقيقة الجوهر..

هي جوهر الحقيقة..

هي فاطمة عليها السلام.

زهراء عليها السلام زهرة هذا الوجود

صلاةً تقرّبنا للجنان
صلاةٌ تقرّبُ دربَ الهدى.

إلى راحتيكِ نزفُّ الصلاة
ومن شفتيكِ نعبُّ الفدا.

كتبتِ لنا مصحفاً في الجهاد
وآياته أرأسُ الشهدا.

ذكرتكِ فانفجرت ثورةٌ
وثارت حقولٌ
وصبحٌ بدا.

وقالت لي الشمس:
هل غيمةٌ بغير هداها ترشُّ الندى؟
فزهراءُ، زهرةُ هذا الوجود
وفاطمةٌ رحمةُ الله في المبتدا.

بطولاتُها تملأ الخافقين
وأنوارُها تتحدّى المدا.

مثالُ الصمودِ
وسرُّ الخلودِ
ونورُ الوجودِ
وأمُّ الهدى.

ندائكِ أمّاه في خاطري
نداءُ الضمائر يتلو الندا.

تعلّمتُ منكِ الإباءَ
تعلّمتُ منكِ الفداءَ
تعلّمتُ منكِ الصمود بوجه العدا.

لأنتِ إلى الله دربٌ وحيد
لأنتِ الحقيقةُ
والـحـقُّ منكِ إبتدا.

هي الجامعة لبيت النبوّة

كانــت فاطمــة عليها السلام ربّانــة سـفينة النبــوّة، والناطقــة باســمها، والحاملــة لرايتهــا؛ فهــي أمّ أبيهــا في المطلــق، وكفــؤ عــلي عليه السلام في الــسّر والعلــن، وحاضنــة سـيديْ شـباب أهــل الجنّــة الـحســن والحســين عليهما السلام، وأمّ بطلــة كربــلاء زينــب عليها السلام..

هــي الجامعــة لبيــت النبــوّة عليهم السلام، هــي المحــور في حيــاة أهــل هــذا البيــت، ألم يقــل ربّنــا في الحديــث القــدسي حينـما أراد أن يعــرّفَ البيــت كلّــه: «هُــم فاطِمَــةُ وَأَبُوهــا، وَبَعلُـها وَبَنوها»، فجعلهــا المحــور: حقيقــةً، وتكوينــاً، وتشريعــاً.

ابنة الجنّة

لم تكـن فاطمـة عليها السلام ابنـة الدنيـا، حاشـاها.. بـل كانـت ابنـة الجنّـة، فمـن جنّـة عـدنٍ جـاءت إلى الأرض، وإلى جنّـة عـدنٍ عـادت إلى السـماء.

وفي دنياهـا لم تهتـم إلّا بـما يتعلّـق بمبدئهـا و معادهـا، فلـم تبحـث عـن قواريـر العطـور، أو مـراود المكاحـل، أو ريـاش الخضـاب..

بـل بحثـت عـن الدعـاء، وعـن الصـلاة، وعـن الخـير، وعـن تحمّـل المسـؤولية..

ولا بحثـت عـن الأمـوال والمغانـم، بـل بحثـت عـن الجهـاد في سـبيل الله، ومقارعـة الظالمـين، والتنمّـر في ذات الله.

عندما تقـدّم لهـا الإمـام علي عليه السلام ليتزوّجهـا، قـال لهـا بعـض النسـوة: يـا فاطمـة إنّ عليـاً يتزوّجـكِ وهـو منـصرفٌ إلى الجهـاد، و مشـغولٌ

بعبــادة الله..

فــازدادت بــه تعلّقــاً، لأنّــه منــصرفٌ إلى الجهــاد، ومشــغولٌ بعبــادة الله.

وقالــوا لهــا: إنّ علياً رجــلٌ فقــير، يتزوّجــكِ عــلى درع، وهــو يرقّــع مدرعتــه، ولا يكتنــز مــن دنيــاه طمــراً، ولا يــعــدُّ لبــالي يوميــه ثوبــاً..

فتزوّجتــه لأنّــه فقــير، وقــد وهــب الله لــه حبّ الفقــراء، وجعلــه يــرضى بهــم أتباعــاً، ويرضــون بــه إمامــاً.

حقّــاً إنّهــا ابنــة الجنّــة لا تهتــمّ إلّا بــكلّ مــا يقرّبهــا إلى معدنهــا الأول، ومعادهــا الأخــير..

أمّــا الدنيــا فقــد طلّقتهــا فاطمــة عليها السلام مليــون مرّتــين.

علّمتنا فاطمة عليها السلام

لقد علّمتنا فاطمة عليها السلام أنّ الصمت على الباطل باطل.

وأن نصرة الحقّ حقّ.

وأنّ أداء الواجب واجب.

وأنّ حمل راية الجهاد جهاد.

علّمتنا عليها السلام أنّ السيف حتى وإن كان في غمده فهو سيف.

وأنّ الكنز حتى وإن كان في مخبئه فهو كنز.

وأنّ النار حتى وإن كانت تحت الرماد فهي نار، وأنّ الشمس حتى وإن كانت وراء الغيوم فهي شمس..

وأنّ العكس بالعكس؛ فالباطل حتى وإن كان في قالب الإيمان فهو باطل، وأنّ المزبلة حتى وإن كانت على مائدة الطعام فهي مزبلة، وأنّ

الخشــــب حتـــى وإن كان غمـــداً للذهـــب فهـــو خشـــب، وأنّ النفـــاق حتـــى وإن كان في مظهـــر الإيـــمان فهـــو نفـــاق.

الميزان

فاطمة عليها السلام هي الميزان..

هي الحقيقة..

هي الكوثر..

أمّا أعداؤها فباطل الأباطيلِ، وقبض الريح.

هي النموذج

فاطمة عليها السلام هي المرأة التي أرادها الله تعالى في الزمان الذي أراده الله، والمكان الذي كان لابدّ أن تكون فيه..

هي النموذج، وهي المثال..

وتتألّق المرأة في كلّ زمانٍ ومكانٍ بمقدار تماثلها لهذا النموذج، واقترابها من هذا المثال، أليس ذلك من معاني كلمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حقّها: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِين»[1]؟!.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص: ٤٢٠.

خيرة اللّه

كانت فاطمة عليها السلام وعاء مشيئة الله، ومظهر لطف الله، وخزينة علم الله، و حاملة كتاب الله..

أليس مكتوباً على باب الجنّة:

«فَاطِمَةُ خِيَرَةُ اللّه»[1]؟

هل تُرى أنّها بعد ذلك كانت امرأة عادية؟!

---

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج١، ص: ٢٩٥.

مقارنة

لـــو جـــاءت الأمـــم كلّهـــا بأعظـــم نســـائها مجتمعـــات، وجئنـــا نحـــن بفاطمـــة عليها السلام وحدهـــا لغلبناهـــم، وهـــم يتحـــسّرون.

إن قِيـلَ: حَـوّا قُـلـتَ فـاطـمُ فَـخرُها
أوقيـلَ: مـريـمُ قـلـتُ فـاطـمُ أفـضلُ
أفـــهـلْ لـمـريـم والـــدٌ كـمـحـمّدٍ
أم هَــلْ لـمـريمَ مـثـلُ فَـاطـمَ أشـبلُ؟

أمّ أبيها

كان رسول الله ﷺ يتعامل مع فاطمة عليها السلام كما يتعامل الرجل مع أمّه؛ فكلّما دخلت عليه قام لها، وقبّل يدها، وأجلسها في مجلسه، وجلس بين يديها..

وكان إذا خرج ففاطمة عليها السلام آخر من يودّعها، وإذا عاد فهي أوّل من يزورها..

لم يُصب النبيّ ﷺ بجراح في معركة، إلّا و هرع إلى فاطمة عليها السلام لتعالجه..

ولم يشعر بجوع، إلّا وأسرع إلى فاطمة عليها السلام لتطعمه..

ولا وجد في بدنه ضعفاً، إلّا وأتى دار فاطمة عليها السلام ليستريح فيها.

أمّا هي، فكانت ترعاه كما ترعى الأمّ وليدها؛ تداعبه بيديها، وتقبّله بفمها، وتعانقه

بعينهـــا، وترافقــه بقلبهـــا، وتحتضنــه بروحهـــا، وترعـاه مراعـاة الأمهـات، وتخفّـف عنـه آلامـه، كـما تفعـل الأمهـات.

وكان النبـيّ ﷺ يحبّهـا حبّـين؛ حـبّ النبـوّة، وحـبّ البنـوّة.

وكان يشـمّها كأنّهـا طاقـة ريحـان، ويضمّهـا كأنّهـا رفاهـة الشـوق، ويعانقهـا كأنّهـا الحنـين، ويلثـم يدهـا كأنّهـا الـبراءة.

عندمـا بـدأ النـاس يقولـون للنبـيّ ﷺ: «يـا رسـول الله»، وأرادت فاطمـة عليها السلام أن تقـول مثلهـم، نهاهـا عـن ذلـك وقـال لهـا: «**بنيّة.. أن تقولي: يا أبتِ، أحبُّ إليَّ، من أن تقولي لي: يا رسول الله**».

لقـد كان يحبّهـا لأنّهـا الربـاط الـذي يشـدّ بهـا رسـالته، ويمسـك بهـا عـماد بيتـه، وتسـتمّر بهـا ذرّيتـه.

حبيبة الحقّ

فاطمة عليها السلام حبيبة الحقّ..

وشفيعة الخلق..

وروح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي بين جنبيه..

وكفؤ عليّ عليه السلام..

وأمّ الحسنين عليهما السلام..

تُرى مَن يستطيع أن يساويها في الموقع، والموقف، والمقام؟

حقاً ما أعظم مقام فاطمة عليها السلام؛ فالنبوّة أبوها، والوصاية زوجها، و الإمامة أولادها، وهي بعد ذلك سلسلة من المناقب والفضائل والبطولات.

أروني أيُّ مقامٍ أعظم من هذا!

أمانة اللّه
في أمّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم

لم تكـن فاطمـة عليها السلام أمانـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنـد الإمـام علـيّ عليه السلام فحسـب، وإنّـما كانـت أمانـة الله عنـد أمّـة رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضـاً.

حضارة المرأة

خَلـقُ فاطمـةَ عليها السلام في موقعهـا الرسـالي يُثبـت أنّ الحضـارة الربّانيـة هـي حضـارة المـرأة، بمقـدار مـا يتمثّـل فيهـا الإيـمان.

وحضــارة الرجــل بمقــدار مــا يرعــى تلــك المــرأة..

ألم يقــل رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خَيْرُكُـمْ خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـهِ، وَأَنَـا خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـي»[1].

وقال: «خَيْرُ أَوْلَادِكُمُ الْبَنَات»[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص: ٥٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠١، ص: ٩١.

لو علموا قدرها

يا حسرةً على العباد..

يا حسرةً عليهم..

لـو عـرف أعـداء فاطمـة عليها السلام قدرهـا لتقاتلوا عـلى تـراب نعـل خادمتهـا فضّـة، ليكحّلـوا بـه عيونهـم، وهـم يسـتبشرون..

ولكـنّ هيهـات هيهـات لقـد ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية ٧.

شموخ الرّوح

لقد أثبتت فاطمة عليها السلام أنّ العظمة ليست إلّا في العظماء، وأنّ النفوس الكبيرة لا تعيش بغير الشموخ، وأنّ الإيمان لا يكتمل إلّا بالتبري من النفاق، وأنّ التمسّك بالحقّ لا يتمّ إلّا بالمواجهة مع الباطل، وأنّ الحياة لا تستقيم إلّا بالتمرّد على الظلم والطغيان.

وصدق من قال عن فاطمة عليها السلام:

«إنّ البطولة ليست قوّة تستند على بدن وساعد، ولا على كرّسي وسلطان، إنّ البطولة هي التي تتمنطق بالعقل فهماً ورشداً، فتعيّن الأهداف وترسم المناهج..

وما كانت بطولة الزهراء عليها السلام من غير هذا المعنى الجليل، غرفت منه ما لمعت به

عيناهـا، دون أن يؤثّـر عليهـا زندهـا النحيـل ولا خصرهـا الهزيـل»[1].

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام وترٌ في غمد، سليمان كتاني، ص ١٤١.

وصّيتها للمرأة

عندما يحوّلون المرأة من كائن جعله الله قطب الحياة، إلى مجرد سلعة لإشباع شهوة الرجل، أو أداةٍ للترفيه عنه في ساعات الخلسة فإنّ مرتبتها تتدنى في الحياة وتنحط، في الوقت الذي هي شطر الوجود الإنساني، ونصف الحياة في الحياة، ونصف البيت في إقامة البيت، ونصف المجتمع في تماسك المجتمع، ونصف الميزان في عدالة الميزان.

هكذا ترى فاطمة عليها السلام أنّ خيراً للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، وأن تقاطعه المرأة مقاطعةً كاملةً إلى أن يعود إلى رشده، ويعرفَ قدرها، ويعترف بأنّ المرأة في وجود الرجال هي المصدر، وهي المنبع، وأنّها لا تُوزن بثقل جسدها، ولا تُقاس بطول قامتها، ولا تقيّم

بجـمال هيكلهـا، ولكــن تُقــاس بــما أعــدَّ لهــا اللهُ مــن مقامــات، ومــا حــدّد لهــا مــن مراتــب، ومــا تحمّلــت مــن مســؤوليات.

فاطمة عليها السلام
نور اللّه بين جاهليّتين

وُلـدت الزهـراء عليها السلام في زمـن المعانـاة؛ فأهـل مكّـة كانـوا يقاطعـون أباهـا وأمّهـا، ويقاطعونهـا..

وماتـتْ في زمـن المعانـاة؛ وأهـل المدينـة كانـوا يقاطعـون زوجهـا، وأولادهـا، ويقاطعونهـا.

فتحـتْ عينيهـا عـلى الحيـاة والعـالم تلفّـه الجاهليـة الأولى، أمّـا هـي فكانـت نـوراً في ظـل الإيـمان.

وعندمـا أغمضـت عينيهـا عـن الحيـاة كان العـالم تلفّـه الجاهليـة الثانيـة، أمّـا هـي فكانـت وعـاء الإيـمان.

لقـد كانـت فاطمـة عليها السلام مـا بـين تلـك الـولادة الصعبـة، وهـذه الشـهادة الأصعـب، هـي المشـعل

الـــذي يُـنـيـــر مـــا حــولـــــه، ولا يحتـــاج إلى شيء يســتنير بــه.

مشكاة النبوّة

وُلدت فاطمة عليها السلام وعاشت في أجواء النبوّة، ونهلت منها، وشعّت عليها، وامتدت بها، وعبّرت عنها.

فكان موقعها من النبوّة موقع المشكاة من المصباح، منها يخرج النور وإليها يعود النور، وبها يهتدي من يبحث عن النور.

فمعها.. الطريق واضح لا يحتاج إلى توضيح لأنّها هي النور.

وبدونها.. لا شيء غير الضلال، والظلمة، والديجور.

سّيدة الفضائل

مـن ينكـر فضلهـا، وهـي سـيّدة الفضائـل، فهـو يفضـح جهلـه، أو يكشـف عـن حقـده، أو يُظهـر فسـوق روحـه.

بحقّ أقول لكم:

إنّ من لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الحق..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الفضيلة..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الصدق..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ العزة..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الكرامة..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الوفاء..

ومن لا يحبّ فاطمة عليها السلام لا يحبّ الأخلاق.

إنّ فاطمـة عليها السلام هـي الفضائـل، وهـي المناقب والمحاسـن والمواهـب والأخـلاق والمبـادئ والقيـم جميعـاً.

فاطمة عليها السلام هي الحد الفاصل

كانــت فاطمــة عليها السلام الخــط الفاصــل بــين حدّيــن:

بــين أولئــك القلّــة الذيــن حملــوا الإســلام مشــعلاً ونــوراً، وهدايــة، ودافعــوا عنــه بجهودهم، وجهادهــم، ودموعهــم، ودمائهــم، واســتمروا في ذلــك حتــى النفــس الأخــير..

وبــين الذيــن انتفعــوا بالإســلام، ورأوه مغانــم ومنافــع ومصالــح، وكــراسي حكــم، وســيوف ســلطان..

بــين مــن ضحّــى بنفســه لهدايــة العبــاد، وبــين مــن ضحّــى بالآخريــن في ســبيل نفســه..

كانــت هــي الحــد بــين الذيــن آمنــوا خوفــاً مــن الســيف وطمعــاً في الدنيــا، وبــين الذيــن آمنــوا خشــية مــن الله تعــالى، وطمعــاً في جنّتــه..

أي بين المسلمين وبين المستسلمين، بين الذين كانوا يريدون تثبيت مغانم الحق، وبين الذين كانوا يريدون تثبيت مغانمهم.

وباختصار كانت هي الحد الفاصل بين أهل الدنيا، وأهل الآخرة.

آلام فاطمة عليها السلام

لا يمكن أن تذكر فاطمة عليها السلام من دون أن تذكر دموعها، وآلامها، وجراحها، وهي بلا انتهاء، فلا ندري ماذا نذكر وماذا ندع؟!

هل نذكر مصابها برحيل أبيها، أفضل مَن خلق الله، وندع ضلعها الذي كسروه، أم نحلتها التي صادروها بعده؟

وهل نذكر حقّها المغصوب، وندع جنينها الذي أسقطوه؟

هل نذكر أطراف باب دارها المحروق، وندع الصفعة على وجهها؟

وهل نذكر كلّ ذلك.. وندع سحب زوجها بحمائل السيف قسراً، وهي تنادي خلفهم:

خَلّوا ابنَ عَمّي أَو لأكشِفَ لِلدُعا
رَأسي وَأَشْكُو لِلإِلَهِ شُجُوني

لا نــدري مــاذا نذكــر، ومــاذا نــدع، وهــي التــي قالــت:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ
أَلَّا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا
صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا[1]

(١) الدر المنثور، ص٣٦٠.

صفوة اللّه

لـمّا خلـق الله تعـالى آدم عليه السلام أبـا البـشر، ونفخ فيـه مـن روحـه، التفـت إلى يمنـة العـرش، فـإذا هنالـك نـور سـاطع، وفي النـور خمسـة أشـباح: سـجّداً ركّعـاً.

قـال آدم عليه السلام: يَـارَبِّ هَـلْ خَلَقْـتَ قَبْلِـي مِنَ الْبَشَـرِ أَحَـداً؟.

قال تعالى: لا.

قال: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَى أَسْمَاءَهُمْ؟.

فقـال عزّوجـلّ: «هَـؤُلَاءِ خَمْسَـةٌ مِـنْ وُلْـدِكَ لَوْلَاهُـمْ مَـا خَلَقْتُـكَ، وَلَا خَلَقْـتُ الْجَنَّـةَ، وَلَا النَّـارَ، وَلَا الْعَـرْشَ، وَلَا الْكُرْسِـيَّ، وَلَا السَّـمَاءَ، وَلَا الْأَرْضَ، وَلَا الْمَلَائِكَـةَ، وَلَا الْجِـنَّ، وَلَا الْإِنْـسَ، هَـؤُلَاءِ خَمْسَـةٌ شَـقَقْتُ لَهُـمْ اسْـماً مِـنْ أَسْـمَائِي؛ فَأَنَـا الْمَحْمُـودُ وَهَـذَا مُحَمَّـدٌ، وَأَنَـا الْأَعْلَـى وَهَـذَا عَلِـيٌّ، وَأَنَـا الْفَاطِـرُ

وَهَذِهِ فَاطِمَةُ، وَأَنَا ذُو الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحَسَنُ، وَأَنَا الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ.

آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّهُ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ مَحَبَّةِ أَحَدِهِمْ إِلَّا أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي، وَآلَيْتُ بِعِزَّتِي أَنَّهُ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنَ بُغْضِ أَحَدِهِمْ إِلَّا أَدْخَلْتُهُ نَارِي.

يَا آدَمُ هَؤُلَاءِ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي بِهِمْ أُنْجِي مَنْ أُنْجِي، وَبِهِمْ أُهْلِكُ مَنْ أُهْلِكُ[١].

فإذا كَانَ لكَ إِليَّ حَاجَةٌ فبهؤلاءِ توسل»[٢].

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن نقل هذا الخبر: «نَحنُ سَفينَةُ النَّجاةِ، مَن تَعَلَّقَ بِها نَجا، ومَن حادَ عَنها هَلَكَ، فَمَن كانَ لَهُ إلَى اللهِ حاجَةٌ فَليَسأَل بِنا أهلَ البَيتِ»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٧، ص: ٥.

(٢) فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٧.

(٣) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج٢، ص: ٥٠١.

بعض من شجاعتها

كانت فاطمة عليها السلام هي الزهد عينه، والعبادة ذاتها، والشجاعة كلّها..

وكان من زهدها وعبادتها أنّها نامت على فراش من جلد كبش مدة خمس سنوات، وطحنت الشعير بيديها حتى جرى الدم منهما، وقامت في محرابها بين يدي الله حتى تورّمت قدماها من كثرة الوقوف، وهي مع ذلك تخاف الله عزّوجلّ، وتبكي من خشيته..

أمّا في شجاعتها فقد بلغت أن تخاطب علياً عليه السلام -وهو من هو في شجاعته- قائلةً له بعد أن جرى عليها ما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ، نَقَضْتَ قَادِمَةَ الْأَجْدَلِ

فَخَانَتْكَ رِيشُ الْأَعْزَلِ، هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ قَدِ ابْتَزَّنِي نُحَيْلَةَ أَبِي وَبُلَيْغَةَ ابْنِي.

وَاللهِ لَقَدْ أَجْهَدَ فِي ظُلَامَتِي، وَأَلَدَّ فِي خِصَامِي، حَتَّى مَنَعَتْنِي الْقَيْلَةُ نَصْرَهَا، وَالْمُهَاجِرَةُ وَصْلَهَا، وَغَضَّتِ الْجَمَاعَةُ دُونِي طَرْفَهَا، فَلَا مَانِعَ وَلَا دَافِعَ.

خَرَجْتُ وَاللهِ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً، وَلَا خِيَارَ لِي.

لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ ذِلَّتِي، وَتُوُفِّيتُ دُونَ مَنِيَّتِي، عَذِيرِي وَاللهِ فِيكَ حَامِياً، وَمِنْكَ دَاعِياً، وَيْلَاهْ فِي كُلِّ شَارِقٍ، وَيْلَاهْ.. مَاتَ الْعَمَدُ وَوَهَنَ الْعَضُدُ، شَكْوَايَ إِلَى رَبِّي، وَعَدْوَايَ إِلَى أَبِي، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً»[1].

مَنْ كان يجرأ أن يقول هذا الكلام لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام غير سيّدة نساء العالمين السيّدة فاطمة عليها السلام؟!

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج٢، ص: ٢٠٨.

صنيعة اللّه

خفقـان قلبهـا كان عـلى وقـع نـزول آيـات القــرآن..

وجريـان دمهـا كان عـلى خطـى أبيهـا ﷺ وهـو يخـوض المواجهـة ضـدّ كلّ مـا هـو شرّ و شرك وكفـران..

فاطمـة عليها السلام صنيعـة الله، فهـي الطريـق، وهـي الغايـة معـاً، وهـي المنـارة التـي تشـع في الـدروب الحالـكات.

ثنائيّ الحقّ

مع عليّ عليه السلام كانت فاطمة عليها السلام .

الثنائـيّ الـذي يـدور معهـما الحـقّ حيثـما يـدوران..

منهما يبدأ الإيمان، وإليهما ينتهي..

بهما فتح الله، وبهما يختم..

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام أبوا هـذه الأمّة، وفاطمـة عليها السلام أمّ أبيهـا، فهـما راعيـا المسـلمين جميعـاً، وبدونهـما كلّ أبنـاء الأمّـة كشـاردة الغنـم التـي هـي لذئـب الشـيطان.

لا مثيل لفاطمة عليها السلام

فاطمة عليها السلام اسم لا شبيه له.

وجرح لا مثيل له.

وإيمان لا نظير له.

وصبر لا نفاد له.

وظلامة لا نهاية لها.

وشجاعة لا شبيه لها.

جذور عاشوراء

من ظلامة فاطمة عليها السلام وُلدت ظلامة الحسين عليه السلام.

ومن حرق باب دارها في المدينة، جاء إحراق خيام الحسين عليه السلام في كربلاء.

إنّ لكلّ حادثة من حوادث التاريخ جذورها فيما سبق، وجذور فاجعة عاشوراء هي في حوادث ما جرى بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

رضاها وغضبها

كلّ العبادات، وكلّ الأعمال الصالحات، وكلّ الخيرات والمبرّات، وكلّ الزيارات والدعوات هي من أجل أن نكسب بها رضا الله تعالى، ونتجنّب غضبه، والله تعالى علّق رضاه على رضا فاطمة عليها السلام، وغضبه على غضبها عليها السلام، ألا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيَغْضَبُ لِغَضَبِ فَاطِمَةَ، وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»[1].

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان: «يَا سَلْمَانُ مَنْ أَحَبَّ فَاطِمَةَ ابْنَتِي فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ مَعِي، وَمَنْ أَبْغَضَهَا فَهُوَ فِي النَّارِ.

يَا سَلْمَانُ حُبُّ فَاطِمَةَ يَنْفَعُ فِي مِائَةِ مَوْطِنٍ، أَيْسَرُ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ وَالْمِيزَانُ وَالْمَحْشَرُ وَالصِّرَاطُ وَالْمُحَاسَبَةُ.

---

(١) الأمالي (للمفيد)، ص: ٩٥.

فَمَنْ رَضِيَتْ عَنْهُ ابْنَتِي فَاطِمَةُ رَضِيتُ عَنْهُ، وَمَنْ رَضِيتُ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَ مَنْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ غَضِبْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ.

يَا سَلْمَانُ وَيْلٌ لِمَنْ يَظْلِمُهَا وَيَظْلِمُ ذُرِّيَّتَهَا وَشِيعَتَهَا»[١].

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٧، ص: ١١٦-١١٧.

ثمرة بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

فاطمة عليها السلام نور عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

وثمرة فؤاده..

وروحه التي بين جنبيه..

فـإذا كان النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم هـو سـبب حيـاة الأنبيـاء والرسـل عليهم السلام ونـور عيونهـم، وثمـرة بعثتهـم، فـإنّ فاطمـة عليها السلام كانـت نـور عـين النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم وثمـرة بعثتـه.

هي المحور، هي الميزان.

اصطفاف الملائكة

كلّما وقفت فاطمة عليها السلام في محرابها اصطفّ حولها سبعون ألف ملك، يسلّمون عليها قائلين: «إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِين».

هكذا يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

(١) سورة النجم، الآيات ٣-٤.

فاطمة عليها السلام والقرآن

فاطمة عليها السلام والقرآن توءمان لا ينفصلان.

ألا تـرى أنّهـا كانـت إذا خطبـت تنطـق بالآيات أو بمعانيها؟

حقاً هي روح القرآن..

هي صوت القرآن..

هي عِدل القرآن..

هي معنى آيات القرآن.

هي القرآن الناطق.

أحقاد جاهلية

لا أدري بـأيّ منطـق، وبأيّـة حجّـة واجهـوا فاطمـة عليها السلام عندمـا طالبتهـم بحقّهـا ونحلتهـا في فـدك، فاحرقـوا بـاب دارهـا في المدينـة، وأسـقطوا جنينهـا وراء البـاب؟!

في أيّ شرع أو ديـن أو قانـون يُجابـه من يطالب بحقـه بالضرب، والشـتم، وكسر الضلع؟

في غربة الحياة

منــذ أن وُلــدت فاطمــة عليها السلام دخلــت في غربــة الحيــاة.

فمــن المهــد إلى اللحــد عاشــت الزهــراء عليها السلام غريبــة كغربــة الأنبيــاء عليهم السلام في أممهــم.

فقد وُلدت غريبة..

وماتت غريبة..

وشُيّعت غريبة..

ودُفنت غريبة..

ولا يــزال قبرهــا في غربــة، لا يعــرف أحــدٌ مكانــه، وموقعــه.

بكاها المسجد والمحراب

عندما رحلت فاطمة عليها السلام بكتها الدار والباب والمسمار، كما بكاها المسجد والمحراب والصلاة، وبكاها عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وكلّ المؤمنين على مرّ التاريخ.

هل كانوا يريدون إحراقها؟

مَنع النبيّ ﷺ أن يحرق المسلمون لأعدائهم شجرة ، أو نخلة، أو كوخاً، أو يضربوا امرأة أو صغيراً..

فكيف إذن أحرقوا على فاطمة عليها السلام باب دارها، وهم يدّعون الإيمان والإسلام؟

تُرى أكانت تلك محاولة لحرق السيّدة الزهراء عليها السلام نفسها، أو إحراق علي عليه السلام، أو إحراق أبنائها عليهم السلام؟!

روح النبيّ ﷺ

عندما نقول النبيّ ﷺ فلا نقصد جسده المبارك وحده، بل روحه، وإيمانه، وتقواه، وشجاعته، وصلابته، ومهابته، وعطوفته، ورأفته، ورحمته أيضاً.

فإذا قال النبيّ ﷺ: «هِيَ رُوحِيَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ»[1] فهو يقصد إذن كلّ ما تمتعت به روحه الطاهرة، ونفسه الزكية.

(١) الأمالي (للصدوق)، ص: ١١٣.

ذرّية بعضها من بعض

وجـــود النبـــيّ ﷺ كان أعظـــم مَـــن خلقـــه البـاري عزّوجـلّ، فهـو سـيّد الخلـق مـن الأولـين والآخريــــن.

وقــد حــصر الله استمرار وجــود النبــيّ ﷺ في هــذا العــالم بذريّــة فاطمــة عليها السلام ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقِين﴾[1]

(١) سورة المؤمنون، الاية ١٤.

إصطفاء اللّه

كانت فاطمة عليها السلام إصطفاء الله..

كما كانت وريثة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم..

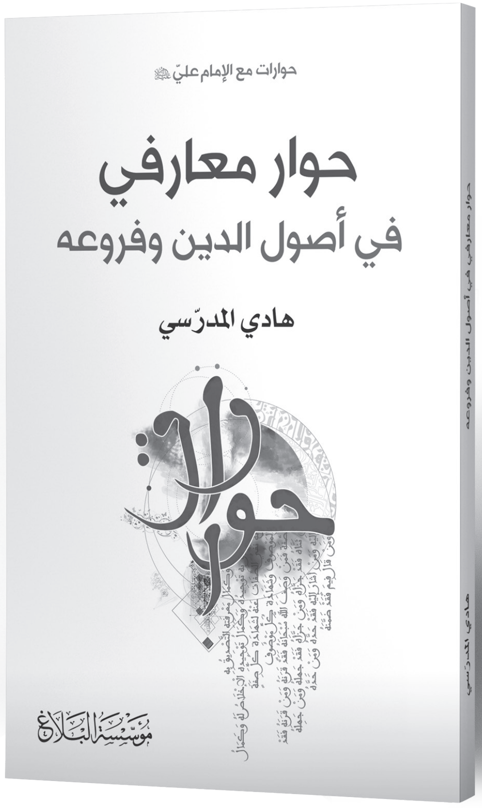
حملـت كلّ مـا منحهـا الله، وورثـت مـن أبيهـا كلّ مـا حبـاه الله في هـذه الحيـاة.

لها مقام الإمامة

أحــرزتْ فاطمــة عليها السلام، بعلمهــا وعصمتهــا، مقــام الإمامــة، وإن لم تســمّ بهــذا الاســم لكنّهــا علــى كلّ حــال كانــت حجّــة الله عــلى خلقــه.

وكــما تقــول عليها السلام: «وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الفُرْقَة»[١].

(١) بحار الأنوار، ج٢٩، ص: ٢٢٣.



الطبعة الأولى - ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م
الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت - لبنان.
عدد الصفحات: ٢٢٤

حوار معارفي في أصول الدين وفروعه

كتاب **حوار معارفي في أصول الدين وفروعه** هو الجزء الأول من سلسلة حوارات مع الإمام علي عليه السلام لمؤلفه سماحة آية الله السيد هادي المدرّسي؛ الكتاب يتميّز بأسلوبه الجميل والسلس، واستعراضه لكلمات وحكم الإمام علي عليه السلام ضمن قوالب صحفية تعتمد أسلوب السؤال والجواب، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب:

هذه الحوارات حقيقيّة فيما يرتبط بإجابات الإمام عليّ عليه السلام، وإن كانت افتراضيّة فيما يرتبط بأسئلتنا منه.

فنحن وإن لم نكن في زمن الإمام عليه السلام لنطرح عليه هذه الأسئلة، ونتلقّى منه الأجوبة عليها، إلّا أنّنا اخترنا بعض ما وصلنا من كلماته، وخطبه، وأقواله، في المسائل المعرفيّة، والحياتيّة، والحضاريّة، ووضعنا لها أسئلة تتناسب معها.

فالأجوبة في هذه الحوارات هي نصوص مأثورة من كلّام الإمام وحديثه، أخذناها من أمّهات الكتب الموثوقة.

إنّ أهميّة كلام الإمام تكمن في أنّه يعبّر عن نواميس الكون، ويكشف عن حقائق الحياة، وليس كلّامه -مثل كلام غيره- مجرّد وجهات نظر، بحيث يتطرّق إليها الشك في صحّتها، فكلام الإمام عليه السلام إمام الكلام.

صلاةً تقرّبنا للجنان
صلاةٌ تقرّبُ دربَ الهدى.

إلى راحتيكِ نزفُّ الصلاة
ومن شفتيكِ نعبُّ الفدا.

كتبتِ لنا مصحفاً في الجهاد
وآياته أرأسُ الشهدا.

ذكرتكِ فانفجرت ثورةٌ
وثارت حقولٌ
وصبحٌ بدا.

بطولاتُها تملأ الخافقين
وأنوارُها تتحدّى المدا.

مثالُ الصمودِ
وسرُّ الخلودِ
ونورُ الوجودِ
وأمُّ الهدى.

ندائكِ أمّاه في خاطري
نداءُ الضمائر يتلو الندا.

تعلّمتُ منكِ الإباءَ
تعلّمتُ منكِ الفداءَ
تعلّمتُ منكِ الصمود بوجه العدا.